

أطلس الإعاقة وذويها في التاريخ: مواقف تصورات ورؤى دينية إسلاموية

نوجدي السعدية*

جامعة ابن طفيل/القنيطرة/
المغرب
noujdi.adiyan@gmail.com

ملخص :

قال تعالى: « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا ». فهلم إلينا حتى نتناول بالدراسة الموضوعية قضية عالمية جد حساسة استقطبت اهتمام الفلاسفة والمفكرين والسياسيين ورجال الدين في كل الأمكنة وكل الأزمنة قديما وحديثا، ألا وهي قضية الإعاقة، قضية نسعى في مقاربة أنثرو-تاريخية إلى الإحاطة بكل أبعادها وأشكالها وصورها المتنوعة، واستعراض التصورات والمواقف الشاذة التي تعرض لها وذويها، وكيف سممت المجتمعات حياتهم وجسدهم على مدى قرون طويلة. وبموازاة ذلك نرصد الرؤى الدينية للإعاقة والمعاق في الأديان السماوية والوضعية وعلى رأسها الديانة الإسلامية، وكيفية قيام هذه الديانة قرآنا وسنة وفقها بالتصدي لمشكلة الإعاقة، وتصحيح المسار الخاطئ للبشرية كلها تجاه ذويها، دون أن ننسى التطرق لأهم المبادئ والمناهج التي أرسنتها لضمان حقوقهم والمحافظة عليها، وذلك من زاوية التفاعل بين الإسلام والتنظيم الاجتماعي والمنظومة الثقافية للمجتمع المسلم. ومن هذا المنطلق نسعى إلى تسليط ضوء علمي معرفي جديد على هذه القضية من خلال الإجابة على بعض التساؤلات الرئيسية: ما هو موقف الأديان من قضية الإعاقة؟ هل الأديان كوسيلة فاعلة استطاعت من خلال تعاليمها مساعدة ذوي الإعاقة؟ هل حملت رسالة الإسلام رؤية مغايرة لذوي الإعاقة؟ هل من فلسفة دينية إسلامية وجهت للمعاق ليعيش رسالته الحقيقية على الأرض؟ هل رعاية ذوي الإعاقة فرض من فروض الكفاية أم العين في الإسلام؟ ما هي المبادئ والمبادئ التي سنتها الشريعة لرعاية هذه الفئة وإدماجها في المجتمع طيلة العهود الإسلامية؟ هل خلد التاريخ لنماذج من هذه الفئة استطاعت خدمة الرسالة الربانية الإسلامية؟ هل من حكمة إلهية في خلق فئة على هذه الشاكلة؟

كلمات مفتاحية : الإعاقة في التاريخ، الإعاقة في الرؤى الدينية،
المواقف، التصورات، التمثلات.

The Atlas of Disability and its People: Islamic Religious Perceptions and Visions

Noujdi Saadia

Affiliation foundation: Ibn Tofail University/ Morocco

ABSTRACT: Allah says: “Allah already knows those among you who keep back (men) from fighting in Allah’s Cause, and those who say to their brethren “Come here towards us,” while they (themselves) come not to the battle except a little”. So, let’s objectively discuss a very global and sensitive issue that has captivated philosophers, thinkers, politicians, and clerics in all places and times, past and present, namely, the issue of disability.

An issue that we seek, in an anthropo-historical approach, to encompass all its various dimensions, forms, and images, and to review the abnormal perceptions and attitudes that its people were subjected to, and how societies poisoned their lives and bodies over many centuries. In parallel, we monitor the religious visions of disability and the handicapped in the monotheistic and positivist religions, especially the Islamic religion, and how this religion in the Qur’an and Sunnah and its jurisprudence addresses the problem of disability, and corrects the wrong path of all humanity towards its affiliates, without forgetting to address the most important principles and approaches that it established to ensure and preserve their rights, and that from the point of view of the interaction between Islam and the social organization and cultural system of the Muslim community. From this standpoint, we seek to shed a new scientific and cognitive light on this issue by answering some key

questions: What is the position of religions on the issue of disability? Are religions an effective means that were able, through their teachings, to help people with disabilities? Did the message of Islam carry a different vision for people with disabilities? Is there an Islamic religious philosophy that directed the disabled person to live his true mission on earth? Is caring for people with disabilities an obligation of sufficiency or an in kind in Islam? What are the curricula and principles enacted by Sharia to care for this group and integrate them into society throughout Islamic eras? Has history immortalized examples of this category that were able to serve the divine Islamic message? Is there divine wisdom in creating a class like this?

KEYWORDS: disability in history, disability in religious visions, attitudes.

تقديم

الإعاقة قضية موجودة منذ الأزل، وقديمة قدم البشرية نفسها، ولو اقتفينا أثرها لوجدنا رسمه ماثلاً في السجلات المؤرخة لتاريخ البشرية منذ قيام الحضارات الأولى التي كانت لمجتمعاتها ردود فعل اجتماعية وقانونية واقتصادية وسياسية إزاء الإعاقة. ونظراً لصعوبة تناول هذه القضية بالدرس وكتابة تاريخها، فقد استأثر بدراسته كل من رجل الدين والفيلسوف والطبيب والمحلل النفسي والسوسيولوجي والسياسي والمفكر والباحث، فكان لزاماً علينا كباحثين دراستها كنموذج أنثرو-تاريخي يسعى إلى استعراض ردود الأفعال التي أشارنا لها، وتجديد طرحها وإعادة تمثيل المعتقدات السائدة في حقب زمنية مختلفة، وتتبع جوهر الإعاقة ومعرفة وضع ذويها في سياق تلك المعتقدات وفي سياق الرؤى الدينية الإسلامية، متسائلين عما إذا ما أسهم هذا الجوهر في تزكية جدلية الإيذاء والإقصاء التي يذهب ضحيتها المعاق في ظل هذين السياقين أم العكس؟

أطلس الإعاقة وذويها في التاريخ: مواقف تصورات وتمثلات ذهنية
تخبرنا أطلسيات المنظومة الدين-تاريخية، أن الإعاقة قضية ذات

بناء مركب متكامل وغير متماسك بسبب جمع من التصورات والتمثلات الخرافية الخيالية والمخالفة لقانون الطبيعة والعقل والمنطق. بناء يعد أيقونة مهمة في تحديد رؤية الإنسان وسلوكه ومواقفه وممارساته وقيمه في المجتمع، الذي من تراثه يستمد هذا البناء تفسيراته وحقائقه حول الصحة والمرض. تفسيرات وحقائق تختلف من مجتمع

الإعاقة قضية ذات بناء مركب متكامل وغير متماسك بسبب جمع من التصورات والتمثلات الخرافية الخيالية والمخالفة لقانون الطبيعة والعقل والمنطق

لآخر باختلاف الحقبة الزمنية، والتنظيم الطبقي، والنوع، والعرق، والانتماء، ونمط العيش، ودرجة الوعي الجمعي... إلخ. وبالرجوع إلى سجلات ذلك التراث وتصفحها يتبين لنا، أن ما من مجتمع خلى من وجود الإعاقة، ولا خلى من الروى المفسرة لها، فالمعاق في المعتقدات الشعبية المصرية، هو كائن شاذ تتلبسه أرواح شريرة تسمى روح الميت أو عفريت الميت، لذلك يطلق على المعاق لقب الممسوس، أو الملبوس، أو راكب عفريت، أو عليه أسياذ الجان، التي هي أحد العوامل الثقافية لما يصيب الإنسان من أمراض وأوجاع مختلفة⁽¹⁾. وعلى هذا، «تم اعتبار العديد من الأمراض نوازل قذفت

من السماء، وأن القلب مركز كل شيء؛ فهو مقر الهروب والنسيان، وأن الجنون يصيب المرء حين تسكن قلبه قوة إلهية في إشارة إلى الشيطان، وعهد بالاستشفاء، استتباعاً، إلى القساوسة-الأطباء الذين لجأوا في سعيهم إلى التشخيص والعلاج إلى الكهانة والعرافة وتقديم القرابين»⁽²⁾، وعرف علم الأعشاب لعلاج المرضى وأصحاب العاهات، وكان الكهنة يصلون لشفاء هؤلاء العجزة، وبذا تكون أول

مظاهر رعاية المعاقين عند القدماء المصريين، الذين أكدوا على أهمية العناية بالفرد وأسرته في حالات المرض والعجز كأسلوب يدعم المجتمع⁽³⁾، الذي حذر الحكيم أمموبوي أفراداه من السخرية منهم قائلاً: «لا تسخر من أعمى ولا تهزأ من قزم ولا تحتقر الرجل

(1) أحمد علي مرسى، موسوعة مصر الحديثة، المجتمع المصري، ج 9، ص 11.

(2) روي بورتير، موجز تاريخ الجنون، ترجمة ناصر مصطفى، مراجعة أحمد أخريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، أبو ظبي 2012، ص 47. كلود كيتيل، تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، سارة رجائي يوسف وكريستينا سمير فكري، مؤسسة هنداي، 2015، ص 16.

(3) أبو النصر، مدحت محمد، تأهيل ورعاية متحدي الإعاقة علاقة المعاق بالأسرة من منظور إسلامي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 151-152.

الأعرج ولا تعبس في وجههم، فالإنسان صنع من طين وقش، والله هو خالقه وهو القادر على أن يهدم ويبني كل يوم⁽⁴⁾. وقد كانت هذه الرعاية تنظم عن طريق الدولة، وهذا ما كشفت عنه الصور والرسوم التي نقشت على جدران المعابد والقبور، فكان الحاكم يرأس الحفلات التي يتم فيها جمع التبرعات حيث تقدم في المواسم وتوزع على الفقراء والمحتاجين والمرضى والمعاقين⁽⁵⁾.

كما كشفت هذه الصور في جدار معبد مصري قديم عن رسم عمره خمسة آلاف سنة لطفل فرعوني مشلول الساق قال عنه المختصون في الطب إنه إشارة إلى مرض شلل الأطفال، كما ذكر أن منفتاح الأول حوالي سنة 1200 ق.م، قام بعزل آلاف المجذومين المقطوعين اليد من بني إسرائيل في محاجر خاصة ثم أسكنهم بعد ذلك في مدينة «ثانيس» بشمال الدلتا الشرقي، وقد قيل إن استفحال المرض بين بني إسرائيل كان من بين الأسباب التي دفعت الفراعنة لطردهم من مصر⁽⁶⁾، ودفعوا بالقلم ليحط رحاله بالجزيرة العربية، التي شعبها خالف الفراعنة في الرفق بالمعاق ومجد فلسفة القوة ونبذ فلسفة الضعف والضعيف استجابة لمتطلبات الصراع القبلي آنذاك، فقد كان عرب الجاهلية يتفاخرون بين القبائل بخلوها من أصحاب العاهات والعناصر الضعيفة تجسيدا لمنطق القوة الذي ساد مناخ تلك الحقبة، إلا أن حضارة سبأ في الركن الجنوبي من الجزيرة قدمت بعض أشكال الرعاية للمعاقين والعناية بهم⁽⁷⁾. لكن تلك العناية لم تمنع هؤلاء العرب من تلقيب ذوي الإعاقة بعاهتهم إذا أصيبوا بها أو أصيب آبائهم⁽⁸⁾، ولم تمنعهم من اتخاذ الأعرج والأحول مادة للفكاهة، كان «أبي الفرج العلوي أعرج أحول، فسمع مناديا ينادي على تيس: كم عليكم في هذا العلوي الأعرج الأحول؟ فلم يشك أنه عناه، فراغا عليه ضربا إلى أن تبين أن التيس أحول أعرج، فضحك الحاضرون مما أتفق⁽⁹⁾».

وما أتفق عليه القلم يشهد على أن المجتمعات القديمة نظرت إلى المعاق نظرة سلبية شاذة، أرجع فيها شذوذ تكوين المخلوقات إلى

(4) حسني الخطيب، التطور التاريخي للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، 11 أيلول، 2016، <https://www.almaya-deen.net>

(5) لخضر غول، التطور التاريخي لمفهوم الإعاقة وطرق التكفل بها، ص 189-190.

(6) حسني الخطيب، التطور التاريخي للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، م س.

(7) أبو النصر، مدحت محمد، تأهيل ورعاية متحدي الإعاقة، م س، ص 153

(8) المراكشي، الذيل والتكملة، ج 6، ص 160.

(9) البغدادي، الحافظ جمال الدين، أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر اللبناني، طبعة 1990، ص 74.

تلك القوى الغيبية والتصورات اللامنتطقية السائدة آنذاك، حيث تم اعتبار ميلاد هذا النوع من المخلوقات في لوحة فخارية مكتشفة بالعراق تعود لعهد الملك «أشور نينال» ملك نينوى، نذير شؤم أو دلالة على غضب الآلهة، ولهذا كان من عادة القدماء أن يقتلوا كل وليد يجيء بشيء شاذ في جسمه، وفي بعض الأحيان يحكمون على أمه بالموت إرضاء لآلهتهم الغاضبة⁽¹⁰⁾. هذا، وقد نظر الآشوريون إلى إعاقَة الجنون بوصفها تلبسا شيطانيا. وساد هذا الفهم في العصر السابق على الكتابة، ثم وردت هذه الاعتقادات فوق الطبيعية في كتب الطب المصري، وطب بلاد ما بين النهرين، وفي الأسطورة والملحمة والفن الإغريقيين والبابلي الذي عزى بدوره منشأ اضطرابات بعينها إلى الروح الشريرة، والسحرة، والمكر الشيطاني، والعين الشريرة، أو اقتراف المحرمات. وهكذا، فقد كان التلبس قدرا أو عقابا حسبما عده نص آشوري سطر عام 650 ق.م تقريبا: إذا اتفق، لحظة التلبس، أن يكون المرء جالسا، وتحركت عينه إلى الناحية الأخرى، وتغضنت شفته، وتدفق اللعاب من فمه، واختلج الجانب الأيسر من جسده مثل نعجة مذبوحة، فذلك هو الشيطان ميغثو، أو الشيطانة غراي عند الهندوس⁽¹¹⁾، أو الشيطانة إيديتا في الطب البابلي.

(10) عبد المحسن صالح، من أسرار الحياة والكون، ص 43.

(11) روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ص 14-19-21.

وفي بلاد فارس القديمة، كان هناك اعتقادا بأن جميع الأمراض يتحكم بها الشيطان، وأن المفهوم الثنائي للصراع الدائم بين الخير والشر يتجسد ليس في العالم فحسب، حيث يتنازع إله الخير «أهورا-مازدا» مع إله الشر «أهريمان»، وإنما في الجسم البشري حيث تتعارض الصحة مع المرض⁽¹²⁾. وعلي أي، فتلك الاضطرابات الصحية كانت تجابه في المعارف والتقاليد الشعبية بالصلوات، والتعويدات، والتوسلات اللطيفة والأضحيات التي تقدم في المعابد إلى إله الطب والشفاء إسكيبوس⁽¹³⁾.

(12) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 16.

(13) روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ص 24.

لكن هذا التشخيص الذي كان يعتمد على تعريفات ترد في شكل أوصاف منفردة تتعلق بقمص الجن لبعض الأجساد أو حلول لعنة الآلهة على من وقع عليهم الغضب في العصور التاريخية الأولى، مما

أدى إلى نكبة المعاقين، أكثر مما عمل على توفير العناية لهم، وهذه الأفكار التشاؤمية ساعدت في إلحاق الضرر بالمعاقين، وجاءت حجة التخلص منهم تحت ستار فك السحر ومحاربة السحرة، وطرد الأرواح الشريرة⁽¹⁴⁾. وجاء الوقت لنعلمكم أن العقلليات الأوروبية في القرون الوسطى أسهمت بدور كبير في نسج هذه التصورات اللامنطقية التي ظلت مستمرة إلى حوالي القرن الثامن عشر، حيث كان يُعد مجيء وليد به بعض الشذوذ في الخلقة، يرجع سببه إلى تدخل الشيطان أثناء عملية الجماع، فالشذوذ في الخلق يحدثه تلوث في نطفة الرجل التي قال عنها رجال الدين إن شذوذها يتنافى مع الإله الذي خلق كل شيء فأبدع في خلقه، أو يحدثه اتصال جنسي ببعض الحيوانات أو حتى بمجرد النظر إليها أثناء الحمل، أو يحدثه أثر الكواكب والنجوم أثناء عملية الإخصاب، أو الهواجس أو التصورات الرديئة التي تتعرض لها الأمهات أثناء الحمل، إلى آخر هذه التفسيرات التي لا أساس لها من الصحة⁽¹⁵⁾، وما له أساس قانوني به الكثير من الصحة يصرح، بأن الإعاقة اعتبرت مسألة دستورية في المجتمعات القديمة، وأن دساتيرها تحفل بقرارات وقوانين تسمح وتدعو إلى التخلص من ذويها، فهذه القرارات والقوانين المعلنة والمعترف بها والمعمول بها كانت تعبر بلا شك عن الدوافع والنزاعات العنصرية والعدوانية السائدة في تلك المجتمعات، «فقوانين ليكورجوس الإسبرطي وسولون الأثيني كانت تسمح وتدعو إلى التخلص ممن بهم نقص جسمي أو عقلي أو عاهة ما»⁽¹⁶⁾، وقانون أرسطو يقضي بترك الأطفال المشوهين والأزيد عن الحاجة للهلاك، فتميز الأطفال الذين يجب تركهم من الذين يجب تربيته في المدينة الفاضلة من الأحسن أن تحظر بقانون أية عناية بأولئك الذين يولدون مشوهي الخلقة، الذين وجب على موظفي الدولة أن يعتنوا بتخبثهم في مكان خفي سري بعيد عن الأعين. وما لا يخفى عن هذه الأعين، أن ترك الأطفال المشوهين كان مبدأ معمولاً به في إغريقيا إلا في ثيبة حيث يوجد قانون يحظر تعريضهم للهلاك. أما في إسبرطة فنفذ

(14) القذافي، محمد رمضان، سيكولوجية الإعاقة، الدار العربي للكتاب، 1988، ص 15.

(15) عبد المحسن صالح، من أسرار الحياة والكون، م س، ص 44-43.

(16) رشيد زرواطي، مدخل للخدمة الاجتماعية، مطبعة هومة، باتنة، الجزائر، ص 24.

بغاية الشدة، حيث يخضع كل طفل مولود لامتحان أعضاء القبيلة الذين كانوا يحددون حقه في الحياة أو الموت⁽¹⁷⁾، فلم يكن يصلح بين أطفالها الضعيف أو المريض أو ذو العاهة، لذا نص القانون على التخلص منهم عن طريق تعريضهم للبرد القارس أو إغراقهم في نهر⁽¹⁸⁾ الدينبر، أما في الحضارة الرومانية فلم يكن المعاق بأحسن حالا فقد كان الأب يعرض عن الابن المصاب بالشوه أو العجز فيلقي به في الطريق ليصبح من الرقيق أو المهرجين⁽¹⁸⁾،

(17) ارسطوطاليس، السياسة، م س، ص 294.

(18) أفنخير، يحي، الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة، مطبعة دار العلم، دمشق 1999، ص 5.

**كان يتخذ من ذوي الإعاقة مادة
للتسلية والتهريج والضحك»
بالبلاط الملكي وأيضاً بقصور
الإقطاعيين ورجال الدين
المسيحي**

حيث كان يتخذ من ذوي الإعاقة مادة للتسلية والتهريج والضحك» بالبلاط الملكي وأيضاً بقصور الإقطاعيين ورجال الدين المسيحي، غير أنه في هذه الحالة الأخيرة حرمت روما وجودهم من حيث المبدأ. وقد اعتاد الأمراء، في وقت مبكر للغاية على أن يحيط بهم إضافة إلى الحيوانات الأليفة، بعض الكائنات الكريهة مثل: الأقزام، أو الحذب، أو المجانين وغيرهم، وأحياناً كل هؤلاء في الوقت نفسه، وكانت وظيفتهم تقتضي إبهاج وتسلية رب البيت وضيوفه الجالسين إلى موائد طويلة في الشتاء⁽¹⁹⁾.

(19) روي بوتر، تاريخ الجنون، م س، ص 76.

ووظيفتنا تقتضي بناء على ما تقدم، أن الفلاسفة، على الرغم الطابع العقلاني والمثالي الذي في فلسفتهم، لم يزدروا تلك القوانين، بل رحبوا بها دون تحفظ ونادوا بها وعملوا بها وعملوا لها لتطبيقها، فسقراط كان يرى أن قيمة كل شيء تقدر بصلاحيته لأداء وظيفته على الشكل الأكمل. ويرى أفلاطون بأن المعاقين ضرر بالدولة ووجودهم يعيق قيام الدولة بوظيفتها والسماح لهم بالتناسل يؤدي إلى إضعافها، فما كان منه إلا رفع شعار: العقل السليم في الجسم السليم، رغبة في أن تقوم جمهوريته على أرستقراطية العقل وصحة الجسم، الشيء الذي جعله يدعو إلى نفيهم خارج الدولة وعدم السماح لهم بدخولها حيث لا يبقى في الدولة سوى الأذكاء والقادرين على الإنتاج أو الدفاع أو الحكم⁽²⁰⁾، لذا، كان الإسبرطيون والأثينيون يعدمون المعاقين، تطبيقاً لشعار البقاء للأقوى والأصلح، كما سيقول بذلك

(20) أفنخير، يحي، الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة، ص 5.

- كل من داروين وشوبنهاور في فترة لاحقة⁽²¹⁾. لكن هذا لا يعني أن كل الفلاسفة يرحبون بتلك القوانين، فهناك فئة أخرى ممن أثرت فلسفتهم على التفكير الروماني فيما بعد فكانوا يمثلون اتجاها مغايرا يربط بين الخير وبين حسن معاملة المرضى والمعاقين والعمل على توفير الرعاية الضرورية لهم⁽²²⁾.
- والظاهر أن هناك من الحكام من يؤيد أفلاطون في قوله بأن وجود المعاقين بالدولة يسيء لها ويخل بنظامها، كحاكم محافظة كاين في خطابه الموجه إلى الأمير لافيردي سنة 1764، الذي قال فيه: يجب أن يقوم الأمير أيضا بحجز الحمقى، والمهتاجين، والمصابين بتشوهات كبيرة للغاية وجميع الذين نراهم يسقطون يوميا في نوبات الصرع؛ لأنه لا شيء يخل بالنظام إلا لقاء هؤلاء الضحايا البائسين الذين يجسدون الشقاء الإنساني⁽²³⁾. ولأن هؤلاء الأشقياء يخلون بالنظام، فقد كانوا يعاملون وخاصة المصابين بالجذام معاملة قاسية بأوروبا المسيحية، ويتعرضون في أحيان كثيرة للموت من ملوكهم بطريقة وحشية، فقد قام ملك فرنسا فيليب الخامس (1316-1322) بجمعهم وحرقهم أحياء وأمر بتكرار هذا الفعل الشنيع ونفس الشيء فعله الملك تشارلز الخامس⁽²⁴⁾.
- أما في إسبانيا فكان يتم حرق المجانين بالمحارق التابعة لمحاكم التفتيش، وبجانب ذلك حدت القوانين الكنسية من ممارستهم لطقس الأسرار المقدسة، فلم يكن بمقدورهم إبرام عقد زواج أو إبداء الموافقة الشرعية اللازمة لإتمام مثل هذا الاتحاد بين الزوجين، وفي بعض الأحيان كانت ترفع دعاوي بطلان في هذا الصدد، كما منعتهم من تناول من القربان المقدس (سر الإفخارستيا)، فالخوف من تدنيس قدسية خبز الذبيحة أو القربان المقدس كان عظيما لدرجة أن المجانين، وقت ممارسة هذا السر الكنسي، لم يكونوا يتقدمون للتناول منه، إلا إذا كانوا على شفا الموت⁽²⁵⁾، ولا بد من الإشارة هنا، أن القانون الكنسي كان يمنع أيضا كل من به عيبا خلقيا من القيام بطقس تقديم الخبز والوقائد، حسبما أكدته سفر اللاويين (الإصحاح
- (21) جميل حمداوي، التربية الدامجة أو تربية ذوي الحاجات الخاصة، ص 26.
- (22) رشيد زرواطي، مدخل للخدمة الاجتماعية، مطبعة هومة، باتنة، الجزائر، ص 24.
- (23) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، م س، ص 181.
- (24) Merbert C. Covey, People with leprosy (Hansen's disease) during the middle ages, p 486.
- (25) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 71-92.

21: 21، 22، 23) «كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لا يتقدم ليقرب وقائد الرب فيه عيب لا يتقدم ليقرب خبز إلهه، خبز إلهه من قدس الأقداس ومن القدس يأكل لاويين. لكن على الحجاب لا يأتي وعلى المذبح لا يقترب لأن فيه عيباً لئلا يندس مقدسي لأنني أنا الرب مقدسهم». وبهذا المنع يكون القانون الكنسي عزز بناء ثقافة الاحتقار والنبذ والإقصاء حرصاً على الرجوع إلى الأصل ذي النقاوة والطهر والابتعاد-ما أمكن- عن التلوث بالآخر المشوه غير المكتمل جسدياً،

**القانون الكنسي عزز بناء ثقافة
الاحتقار والنبذ والإقصاء حرصاً
على الرجوع إلى الأصل ذي
النقاوة والطهر والابتعاد-ما
أمكن- عن التلوث بالآخر المشوه
غير المكتمل جسدياً**

ابتغاء، المحافظة على طهارة الهيكل وبالتالي طهارة المجتمع. فهل هذا معناه أن كل القوانين أجحفت في حقوق ذوي الإعاقة؟ بالطبع لا، القوانين كلها لم تكن كذلك؛ فقانون مانو في الهند وتعاليم كنفشيوس في الصين بما تحمله فلسفتها من مفاهيم الفضيلة والأخلاق والسلام، كانا أكثر رحمة بالضعفاء والعناية بالمرضى والمعاقين كأحد مظاهر تلك الفلسفة، التي تباينت المواقف حولها من جراء صراعات البراهمة والبوذية والنظام الطبقي المغلق والدعوة للاستسلام للعجز بدعوى التسليم بالألم والعجز كتعبير عن الأخلاق الفاضلة ومن ثم عرفت الهند باحتفالات تعذيب الجسد من الآثام⁽²⁶⁾، حيث أمر البراهمة بتعذيب المعاق كطقس من طقوس تطهير جسده من تلك الآثام، بينما أوصى بوذا بالرفق بالمرضى والمشوهين وذوي العاهات ودعا إلى تخليص البشرية من آلامها. وقد أقام الملوك البوذيون أول معهد رسمي للعناية بمن أصابهم عجز أو تضرر على مستوى النفس أو الجسم أو الحواس وتقدير المساعدة لهم حتى لا يشعروا بالضعف والهوان كونهم معاقين⁽²⁷⁾.

(26) أبو النصر، مدحت محمد، تأهيل ورعاية متحدي الإعاقة، م س، ص 152-153.

(27) إقبال إبراهيم مخلوف، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية اتجاهات تطبيقية، ص 4-5.

وفي المجرى الفكري عينه، نخبركم أن الأعراف الفقهية المغرب-أندلسية كانت هي الأخرى غير منصفة في تشديدها على الصحة الجسدية والعقلية» وأعلم أن الصحة لا بد من ذكرها في عقود النكاح والطلاق والهبات والأجناس وفي كل ما ليس فيه عوض⁽²⁸⁾،

(28) الونشريسي، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق، ص 148-149.

وأجمعت على أن العيوب التي توجب الطلاق أو الرجوع في الزواج هي: الجنون والجذام والبرص والفالج والقطع والشلل والعمى والعمور والصمم وغيرهم⁽²⁹⁾، وأسقطت الحضانة عن المرأة التي تكون في حالة العمى والصمم والقعد(الشلل) والخرس، لعدم توفر الرعاية والاهتمام وخدمة الطفل المحتضن، ويتبع في ذلك الجنون والجذام والبرص والسفه في الدين والعقل والمال (إهدار مال الطفل)⁽³⁰⁾، وأكدت على سلامة الحواس الخلقية باعتبارها شرطاً من شروط الولاية أو الخلافة، فعلى الخليفة أو الولي أن يجمع من اعتدال وتناسب الأعضاء وصحتها وجودة الإدراك وحسن الفهم وذكاء العقل ما يستوجب أهليته في تولي أمر المسلمين⁽³¹⁾، واشترطت الخلقة السوية كشرط من شروط العمل⁽³²⁾ أما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الأعضاء في العمل كفقْد اليدين والرجلين والانشين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه⁽³²⁾. وبالتالي، فإن هذه الأعراف والقوانين المعروضة تؤكد أن الإعاقة في جوهرها هي جدلية للإقصاء والنبذ، فهل هذه الجدلية عرضت كل المعاقين للنبذ؟ والجواب كان لا، فهناك فئة منهم كانت مكرمة في المجتمعات التي عد معالجوها مرض الجنون من الأمراض المقدسة باعتبارها مظهر لقوة إلهية، وقد انتقد أبقراط هذا الاعتقاد بأسلوب حاد ولاذع قائلاً: ليس المرض المقدس كما يبدو لي، أكثر ألوهية أو قدسية من الأمراض الأخرى، بل هو ذو منشأ طبيعي مثل غيره من الأمراض. واعتقاد الناس بألوهيته ينتمون إلى تلك الفئة التي اتخذت من الألوهية ستاراً تخفي به قصورها وعدم أهليتها⁽³³⁾. لكن هذا الانتقاد لا يستطيع أن ينفي أن الجنون مارس في التاريخ افتتاناً وسطوة خاصين، تماثلاً في كون الأحقق درويشا محاطاً بنوع من القداسة، أو ساحراً شريراً أو شخصاً مسكوناً بالجن، متمتع بحرية التعبير والسخرية مما هم أفضل منه⁽³⁴⁾. كما تشهد هذه السطوة أن المجانين الناحية الصوفية كانوا فعلاً أشخاصاً مقدسين يعيشون

(29) البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا من المفتين والحكام، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج 3، ص 287.

(30) الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود، ص 84-85.

(31) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن، ص 125.

(32) ابن خلدون، المقدمة، ص 176.

(33) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 33. روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ص 24.

(34) روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ص 113-114.

عيشة النساك ويتبعون سلوك المسيح الزاهد، وكانوا يعتقدون أنفسهم أنبياء أو أشخاص موحى لهم من روح القدس، ومن ثم يقومون بالوعظ عن حال العالم في المستقبل أو عن مجيء المسيح الدجال، وينذرون بنهاية الأزمنة، كما تشهد على أن للمجانين احتفالاتهم وطقوسهم الخاصة بهم، وهي طقوس حقيقية تأسست في القرون الأولى من العصور الوسطى، متوارثة عن أعياد الإله سارتون، وهي طقوس يتم فيها انتخاب رئيس طائفة المجانين من طرف بعض الكتبة وبعض أعضاء الاكليروس، ويجري تنصيبه وسط أجواء من الألحان الساخرة ويرافقه رجل دين متنكر في موكب إلى منزله.

وكان هذا الاحتفال يبلغ أوجه في الكاتدرائية أو في المجمع الكنسي؛ حيث كانت تجري محاكمة ساخرة لطقوس الخدمة الكنسية أو صلاة القديس. وكانوا يطوفون بهذا الموكب في جميع أرجاء وشوارع المدينة وهم يطلقون دعابات ماجنة وفاسقة وسط مناخ عام من النشوة والسكر⁽³⁵⁾. هذا في أوروبا، أما في إفريقية الشمالية فكان نساكها المجانين يحظون بالقداسة مع أنهم على درجة منخفضة من عدم الاعتدال والاحترام الإنساني بحيث يضاجعون النساء أحيانا في الأزقة كما تفعل البهائم، ومع هذا يعتبره العامة من أولياء الله الصالحين.

ويوجد مثل هذا بكثرة في تونس، وينتشرون أكثر من ذلك في مصر ولا سيما القاهرة، ففي ساحة بين القصرين استحوذ أحد هؤلاء الأشخاص على امرأة شابة في غاية الجمال كانت قد خرجت من الحمام، فضاجعها في وسط الساحة وواقعها، ولم يكذب يقوم عنها حتى أسرع الناس إليها يتمسحون بثيابها وكأنها أداة نساك وعبادة لما لامسها رجل صالح مجنون، ويسر الناس بعضهم إلى بعض بأن الصالح إنما تظاهر بمضاجعتها ولكنه لم يقع شيء من ذلك. ولما بلغ الخبر إلى الزوج اعتبره نعمة عظيمة، وحمد الله على ذلك وأقام وليمة وأفراحا كثيرة على ما أصابه من خير. ولقد هم الفقهاء والقضاة بمعاينة هذا الدنيء، بكل الوسائل، لكن العامة كادت أن تفتك بهم،

(35) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 77-78-85-86.

لأنه يتمتع بإجلال كبير عند الجمهور، وينال منه هبات وهدايا ثمينة جدا⁽³⁶⁾.

(36) حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص 271-271. مارمول كربخال، إفريقيا، ج 1، ص 141.

ومن الضروري أن نشير هنا، إلى أن نفس الحادثة وقعت بالمغرب في مدينة تطوان التي بأحد شوارعها أمسك ولي بامرأة وضاجعها ونساء أخريات أحطن بها يصرخن فرحا، ثم توالين على تهنتتها لسعادة حظها كما أن زوجها أخذ يستقبل المهنتون بهذا الحدث⁽³⁷⁾.

(37) ويسترمارك، موسوعة تاريخ الزواج، ص 186.

وهناك حادثة أخرى جرت أحداثها في المغرب أيضا، فبدل من معاقبة الشريف الأحمق والقبض عليه، أقاموا له وليمة وأرسلوه إلى تونس. وكرموا ناسكا آخر بمدينة الجزائر حيث حظي بتكريم الأتراك والمغاربة ويقدمون له العطايا له ولفرسه. وأعظم تكريما قد يناله أحدهم هو قيام محمد والد الحسين ملك تونس، بتشييد رباط

(38) مارمول كربخال، إفريقيا، م س، ج 1، ص 141.

من الطراز الممتاز له ومنح عطايا جزيلة لجميع أهله⁽³⁸⁾. لكن هذا التقديس لم يمنع المغاربة بالمجتمع الغماري من الحرص على السكان الاصحاء المعافين، فكانوا «يرغبون في الرجل الجميل الشجاع أن يأخذوا منه نسلا ولا يدعون ذا عاهة يستقر ببلدهم ويقولون إنه يفسد النسل»⁽³⁹⁾. ونرغب باطلاعكم أن الأحمق كان كائنا ممقوتا في المجتمعات العربية، حيث كان يتم التحذير من صحبته والإيصاء برفضه وتجنبه وهجرانه لأن هجران الأحمق قرينة إلى الله عز وجل، كما توصي بعدم مؤاخاته والقرب منه لقوله عليه السلام: «لا تؤاخي الأحمق فإنه يشير عليك ويجهد نفسه فيخطئ، وربما يريد أن ينفك فيضرك، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وموته خير من حياته»⁽⁴⁰⁾. فكل صديق ليس له عقل فهو أشد عليك، من عدوك، ومن لا عقل له فلا دين له ولا آخرة⁽⁴¹⁾.

(39) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 192-193.

(40) البغدادى، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 38.

(41) البغدادى، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 39-40.

أما في المجتمعات الغربية وقت العصور الوسطى فقد كان يتم إقصاء المجنون والسخرية منه، وتشهد على ذلك بعض الأقوال المأثورة، فنجد مثلاً: «من المجنون لا بد من أن نحترس»، أو «في اليوم الجيد، تخلص من المجنون». فالمجنون في هذه المجتمعات كان بمنزلة متنفس للأفراد، إذا كانوا يسخرون من المجنون والأطفال يركضون

وراءه، هذا إن لم يقذفوه بالحجارة؛ مما يقلب الآلة التي كانت سائدة في العصور القديمة، حيث كان المجنون هو من يقذفهم بالحجارة، أما في العصور الوسطى فأصبح الناس هم الذين يطاردونه⁽⁴²⁾. وهذه المطاردات القاسية خلقتها المؤلفات الأدبية وهي تصور على سبيل المثال، تريستان المجنون وكيف كان الجميع يسخرون منه ويستهزئون به، ويقذفونه بالحجارة على رأسه». وكيف كان يضرب ويقص شعره ويلطخ بالرماد من قبل الرعاة، وكيف كان الناس يستقبلون المجنون عند دخوله القرية أو المدينة بصيحات الاستهزاء والسخرية وبالضرب المبرح، وكان يتم إلقاء القمامة وإطلاق الكلاب عليه، وكان عامة الناس يتعاملون معه بمنتهى القسوة وكأنهم سعداء لعثورهم على شخص مسكين أكثر بؤسا وشقاء منهم، كما كانوا يظهرهم نفورهم واشمئزازهم من أي شخص مختلف عنهم، وكان هذا هو السيناريو المتبع، على نحو مبتذل، لإثاء المجنون عن البقاء في هذه الأماكن ولإرغامه على الرحيل⁽⁴³⁾.

(42) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 65.

(43) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 75.

رحيل أرغمنا على التساؤل: كيف تبدت الإعاقة وإعاقة الجنون بالذات في الأساطير والملاحم القديمة وفي الكتب الدينية؟
المعلوم الشائع، إن للأساطير سلطة مرعبة، فبعد مضي كل هذه العصور لا زال هناك أناسا يدعون لسحرها ويؤمنون بمنظوراتها التفسيرية لبعض الظواهر العسية على الإدراك والفهم، كظاهرة الإعاقة، فقد تبدت إعاقة الجنون في الأساطير اليونانية وقصائد هوميروس، بوصفها عقابا يبتلى به البشر الذين يقعون ضحية الجموح والغطرسة. وهكذا، أصيب أوريستيس بالجنون بعد أن قتل والدته وعاقبته على فعلته جنيات العذاب إيرينيس (المسامة عند الرومان فيوريس). ولهذا كان الإغريق يخافون بشدة منهم، لدرجة أنهم أطلقوا عليهم «الجنيات الطيبة» حتى لا يغضبوها. وكانت مهمة هؤلاء الإلهات الجنيات معاقبة القاتل والمتغطرس أيضا⁽⁴⁴⁾. أما مهمتنا

**للأساطير سلطة مرعبة،
فبعد مضي كل هذه العصور
لا زال هناك أناسا يدعون
لسحرها ويؤمنون بمنظوراتها
التفسيرية لبعض الظواهر
العسية على الإدراك والفهم،
كظاهرة الإعاقة**

(44) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 18.

فهي إخباركم بأن علاج إعاقة الجنون ارتبط بداية بأصول الأسطورة الإغريقية كما يلي: «بعد أن تسبب غضب هيرا في ضربات بنات برويتوس - ملك تيريثا- بالجنون، قام العراف ميلامب بشفائهن بعد أن ساقهن لبن المعز الخاصة به التي كانت ترعى في أرض مزروعة بنبات الخربق»⁽⁴⁵⁾. ونقوم نحن بإعلام القارئ بأن الوضع الصعب الذي كان يعيشه ذوي الإعاقة في إطار مناخ ديني متعصب إلى أبعد حد عن الحضارات المؤمنة بعدة آلهة، وفي سياق بيئية ترفض، بل وتحرم اللجوء السحر، وهكذا. كان للعديد من هؤلاء المعاقين- المنبوذين من مجتمعهم والمختبئين في الغابات حيث يعيشون حياة بدائية وهمجية- دور في ولادة أسطورة الاستذآب التي كان خير مثال لها ملك بابل نبوخذ نصر، الذي مسخ إلى حالة من الجنون البهيمي عقابا له على غزو مملكة يهوذا وتدمير معبد أورشليم⁽⁴⁶⁾. لكن نبوخذ نصر لم يكن الوحيد ممن عوقبوا بالجنون في هذه الأسطورة الدينية، وإنما عوقب العديد من الناس، منهم المجنون هومر، أجاكس، الذي دأب على نحر الخراف لاعتقاده بأنها من جند الأعداء، ما يمثل إرهاب لبطل سيرفانتس، دينكخوته الذي كان يناحر طواحين الهواء⁽⁴⁷⁾. فطينا بسهولة ويسر إلى كتاب العهد القديم الذي تبتد إعاقة الجنون بين أسفاره بوصفها، قدرا» لقد كتب، أن الله سوف يبتليك بالجنون»(سفر التثنية)، وبوصفها عقابا يرسله الله لمن يقع في الخطيئة، كما هو واضح في سفر الأمثال(24: 9) «فكر الحمق خطية»، ولمن يحيد عن الإيمان حسبما ورد في تحذير موسى لشعبه قائلا: إنهم إن حادوا عن طريق الإيمان، فسيضربهم الله بالجنون وحيرة القلب» سفر التثنية 28: 28)، وحتى نبعدكم عن الحيرة، فالجنون قد تتسبب فيه الأرواح الشريرة كما جاء سفر الملوك» ذهب روح الرب إلى شاول، وبغته روح رديء من قبل الرب». نفس الطرح أكدته التلمودي ريش لاكيش في القرن الثالث بعد الميلاد، أن الإنسان لا يخالف أحكام الدين إلا دخلت له روح الجنون، فيصبح المجنون كائنا جاهل في قلبه ليس إلها، لدرجة استحق فيها اللعنة المذكورة

(45) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 42.

(46) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 21.

(47) روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ص 19.

في مستهل المزمور الثاني والخمسين من العهد القديم⁽⁴⁸⁾. لذلك لا بد من الابتعاد عن الأحمق» ليصادف الإنسان دبة ثكول ولا جاهل في حماقته» سفر الأمثال: 17، 12)، وعدم الاقتراب منه ومن كل معيوب خلقيا» كل ما كان فيه عيب لا تقربوه لأنه لا يكون للرضا عنكم» (سفر اللاويين 22: 20). لكن هذا لا يعني أن العهد القديم لم يوص بال العناية والرعاية الصحية والتعليمية والثقافي لذوي العاهات، فقد حثت الشريعة الموسوية في القرن السادس قبل الميلاد بمنطقة الشرق الأوسط على رعاية المعاقين والاهتمام بهم واعتبرت إصابتهم إرادة الله⁽⁴⁹⁾. فماذا عن الإعاقة والمعاق في العهد الجديد؟

(48) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 21-22-83-84.

(49) لطفي بركات، الفكر التربوي في رعاية الطفل الأصم، ص 33.

يظهر لنا أن العهد الجديد في تناوله لموضوع الإعاقة أقل تشاؤما بهذا الصدد من العهد القديم؛ فلم تعد تصور الإعاقة على أنها سلاح في يد إله يميل إلى الانتقام والقصاص، بل نجد هناك إحياء للتقليد القديم المتعلق بالأرواح والشياطين والإلهام السماوي، والمرتسخ في إيمان الحضارات المتعددة الآلهة. فهذه الاعتقادات فوق الطبيعية أعادت التعاليم المسيحية صياغتها وتبنتها، فبقيت حاضرة في الغرب حتى القرن الثامن عشر⁽⁵⁰⁾. وتشهد على تلك الصور والرسوم والأيقونات والنقوش التي ترجع خاصة إلى القرون الوسطى والمليئة بالمشاهد الباعثة على التقوى التي تصور إنسانا مصابا بمس شيطانيا، مكبلا بالسلاسل، أشعت الشعر وغير منسق الهيئة، ثائرا وهائج بشكل واضح، وهو يلفظ شيطانه ويطرده عن طريق الفم⁽⁵¹⁾. كما تشهد على ذلك رحلات الحج العلاجية التي كانت شائعة من قبل في اليونان القديمة، والتي كانت بمعناه الذي ظهر في المجمع الفاتيكاني الثاني، تتم في عيد العنصرة. ولم تكن تلك الرحلات تنقضي سريعا؛ فعلى شاكلة طقس حضانة المرض الذي كان يمارس في العصور القديمة في بلاد الإغريق، كان المرضى يبيتون في المزار تسعة أيام؛ أي تساعية، وفقا لطقس شهير في الكنيسة المسيحية، فخلال هذه المدة، كان لا بد من إيواء المرضى، أو بالأحرى، احتجازهم في زنازين أو حجرات مفروشة بالقش، أوفي كنيسة

(50) روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ص 14.

(51) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، ص 87-88.

جانبية محكمة الغلق، أو في قبو الكنيسة، ولا بد من قيام هؤلاء بالصلوات، والتراتيل، والقداست، والطواف حول مقام القديسين والتضرع عند رفاتهم، والغطس في ينبوع المياه المعجزية، والتضرع عند رفات القديسين، وارتداء مخلفاتهم لتغمرهم النعم والبركات. لكن هذه الطقوس كان يتخللها استعمال العنف، حيث كان المرضى يقيدون ويجلدون بالسوط؛ وذلك لشيوع الاعتقاد بأن هؤلاء يسكن جسدكم شيطانا، وبناء على ذلك، لا يوجه الضرب إلى المريض، وإنما إلى الشيطان المستقر في غلافه الجسدي. ونوجه نظركم بدورنا إلى أن المعاق في الكتاب المقدس، يعد كائنا ضعيفا بين الضعفاء ومحجوبا من الله⁽⁵²⁾ الذي يظهر أعماله فيه، لذا، أمر بمساندته بلسان بطرس الرسول: أسندوا الضعفاء. أما القديس يوحنا والقديس جيروم والقديس جريجوري وغيرهم من رجال الدين المسيحي فأوصوا بمعاملة المعاقين بروح الأخوة⁽⁵³⁾ والإحسان العون؛ فالإحسان في رأي توما الإكويني يربط الإنسان بالله من خلال المحبة، في حين أن الرحمة أو الرأفة التي يتبعها تقديم العون والمساعدة-تجعل الإنسان يتمثل بالله.

وهذا ما ورد في كتاب «القاعدة» للقديس بنوا (بنديكتوس): لا بد قبل كل شيء من الاهتمام بمساعدة الضعفاء والعاجزين، فنخدمهم كما لو كنا نخدم المسيح بذاته⁽⁵⁴⁾، وبذلك تغيرت نظرة المجتمعات المسيحية إلى هذه الفئة وأصبحت موضع شفقة ورحمة وإحسان، إذ قام القديس «برتران» أسقف لومان بإنشاء دار خيرية للتكفل بالمكفوفين وتعليمهم طقوس الديانة المسيحية، ثم بعد ذلك تم إنشاء عدة ملاجئ في أغلب دول العالم بهدف توفير الرعاية لذوي العاهات. وقد كان الفكر الإنجيلي أيضا وراء نشأة المشفى بالمعنى اللغوي لكلمة hospitalis التي تعنى منزلا مجهزا لاستقبال الضيوف. ويعد غريغوريوس النازياني، الملقب بطبيب الكنيسة، أول من أعطى وصفا لمشفى مسيحي يقال له قيصرية، وذلك بأسلوب ينم عن التفاخر والتباهي: «يا لجمال المحبة والبذل، والتفاني، ومساعدة

(52) كلود كيتيل، نفسه، ص 62-64-83.

(53) رشيد زرواطي، مرجع سابق، ص 28.

(54) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، م س، ص 55.

الفقراء، ومعونة الضعف البشري! (...) مدينة يهزم فيها المرض بالصفاء والسكينة الداخلية التي تنبع من الحكمة. هناك، ينظر إلى الإعاقة باعتباره بركة ونعيما، وهناك نفتش عن الرحمة ونضعها تحت الاختبار»⁽⁵⁵⁾، ومن هناك إلى هنا، يفتش القلم عن الإعاقة في الرؤى الدينية الإسلامية متسائلا عن ما إذا كانت تعتبر المعاق بركة ونعيما مثلها في ذلك مثل غريغوريوس؟

(55) كلود كيتيل، تاريخ الجنون، م س، ص 55-56.

الإعاقة وذويها في الرؤى الدينية الإسلامية

إذا كان الأطلس الجغرافي يعطينا تصورا عن وضع القارات الخمس في خريطة العالم، فإن أطلس الإعاقة يعطينا تصورا عن أنماطها في الثقافة العربية الإسلامية، تصورا بنيت خطاباته بما هو ديني واجتماعي واقتصادي وأخلاقي، فيما يخص علاقات التواصل والتفاعل مع الآخر المشوه؛ تفاعلية تتجلى في إقامة علاقات اجتماعية متزنة ومتجاوزة للأحكام للعنصرية، بين هذا الآخر وبين أفراد المجتمع الأسوياء، وقد كان هذا التصور المتسم بالإدراك الواعي للتطور التاريخي، وبالموضوعية والمستثمر الحقيقي للطاقات النفسية والفكرية والجسدية، الحجر الأساس من حيث فلسفته وتكوينه وطبيعته وهدفه، في صنع خميرة تغيير النظرة الدونية للمعاق، ومحو الصورة السلبية التي رسمت له في المخيال الثقافي الأجنبي، وإحياء صورة أكثر إيجابية في المخيال الديني العربي يتم خلالها عرض رؤى الإسلاموية تتناول الإعاقة وذويها، رؤى لا تتعارض إملاءاتها ومقاصدها الشرعية مع خصوصية المجتمع العربي. فما مدى حضور الإعاقة في هاته الرؤى؟

بداية إن التفحص الدقيق لبعض النصوص الدينية يعطينا تصورا حول مفهوم الإعاقة التي تم ذكر أنواعها في العديد من السور القرآنية، التي يتضح منها في سياق هذا التصور أن المعاق شخص مبارك فيه نفخة من روح الله، وأن الإعاقة قضاء وقدر» ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير»(الحديد: 22)، وأن على المعاق أن يؤمن بقضاء

الله وقدره، وأن لا يفزع منه إذا أراد نيل سكينه القلب وهدوئه» ما أصاب من مصيبة إلا يأذن الله ومن يؤمن بالله يهدي قلبه والله بكل شيء عليم» (التغابن: 11). وما نعلمه من علمه، أن هناك حكم ربانية عظيمة وراء خلق الإعاقة في بعض الخلق، أول حكمة نستشفها في هذا الحديث هي شكر الله «حدثنا الحكم بن سنان، عن حوشب، عن الحسن أنه قال: خلق الله- عز وجل- آدم حين خلقه، فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فدبوا على وجه الأرض، منهم الأعمى والأصم والمبتلى، فقال آدم: يا رب، ألا ساويت بين ولدي؟ قال: يا آدم إني أردت أن أشكر»⁽⁵⁶⁾.

(56) البغدادي، الحافظ جمال الدين، أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر اللبناني الأولى، 1990، ص 13.

إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته الجنة، يريد عينيه

ثانية حكمة هي تعويض المعاق الصابر على إعاقته بالجنة كما جاء في القول النبوي: «إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته الجنة، يريد عينيه»⁽⁵⁷⁾.

(57) النووي، رياض الصالحين، ص 23، حديث رقم 34.

(58) ابن ماجه، عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج 2، ص 1334.

ثالثة حكمة تكفير السيئات» وما أصابكم من مصيبة فيما كسبتم أيديكم ويعفو عن كثير» (الشورى: 30)، والخط من الخطايا» قال الرسول (ص): فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»⁽⁵⁸⁾، لذا وجب على الإنسان أن ينظر إلى المصيبة والبلاء على أنهما نعمتان يتطهر بهما من دنس الذنوب ورجس المعاصي، يرتقي بها إلى مقامات عالية عند الله، فالمصائب والبلايا قد تحمل له الخير الكثير وهو لا يعلم» فعسى أن تكثرها شيئاً ويجعل الله فيه خير كثيراً» (النساء: 19)، فلئن صبر على بلواه كان جزاءه أحسن مما كان يعلم كما وعد الله قائلًا: «ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعلمون» (النحل: 96). وما نعلمه أن غاية القلم من استعراض هذه الحكم، هي بيان أن البلوى ليست إيذاء وتعذيباً، وإنما هي رفع درجات المبتلى في الحياة الآخرة في محاولة منه لمحو ذلك التقليد القديم في الثقافة اليهودية الذي اعتبر الإعاقة عقاباً أو لعنة إلهية بسبب الوقوع في الخطيئة كما سبق وتقدم ذكره. وما يتعين علينا ذكره عند هذا الحد، أن الإسلام جاء برؤية دينية مغايرة

لبقية الرؤى في الديانات السماوية والوضعية، ومميزة عنها بكثير من المبادئ الخيرية والقيم السامية الداعية إلى احترام النفس الإنسانية، والمنادية بعدم التفرقة بين البشر والمساواة بينهم، والمؤكد على وجوب النظر إليهم على أساس عملهم وليس جنسهم أو عرقهم أو تركيبهم الجسمي، فلا تفاضل بينهم عند الله إلا بالتقوى» إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات: 13). والمؤكد أيضا على احترام المعاق وتقديره بنص السورة التي عاتب الله مَنْ أَعْرَضَ عن الأعمى عمرو بن أم كلثوم

**الإسلام جاء برؤية دينية مغايرة
لبقية الرؤى في الديانات
السماوية والوضعية، ومميزة
عنها بكثير من المبادئ الخيرية
والقيم السامية الداعية إلى
احترام النفس الإنسانية**

وانشغاله بهداية المشركين، قائلا: «عسى وتولى إن جاءه الأعمى وما يديرك لعله يزكى أو يذكر فتنبهه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه» (عس: 10-1). وهكذا أمر الله نبيه باستقبال الأعمى استقبالا راقيا وساميا، لأن عاهة العمى ليست عيبا لكن العمى عمى القلب عن إبطار الحق ومعرفته وهذا هو الخسران الكبير» فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» (الحج: 46). لذلك أوجب الشرع النظر إلى القلوب والسرائر وليس إلى الأشكال والمظاهر كما جاء في الحديث النبوي: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»⁽⁵⁹⁾. فقيمة الإنسان في إيمانه وليس في سلامة حواسه وأعضائه» رب أشعث، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»⁽⁶⁰⁾.

(59) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ج 4، ص 1986، حديث رقم 2564.

(60) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين ج 4، ص 2024.

وما أبر بنا لو طبقنا هاته المناهج الشرعية في التعامل مع هذه الفئة الخاصة في جو من الأدب يبلغ فيه المعاقون ذروة التقدير والاحترام، اللذين رسختهم الرؤى الإسلامية باستهجان النظرة الساخرة والمستهزئة بهم، عن طريق الأمر الرباني الناهي عن كف الأذى المعنوي عنهم» يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان

ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» (الحجرات: 11)، وعن طريق القول النبوي: «بحسب كل أمري أن يحقر أخاه المسلم»⁽⁶¹⁾. ولأن هذه النظرة الدونية تتنافى مع مكارم الأخلاق فقد تواعد الله أصحابه بالويل والثبور» ويل لكل همزة لمزة» (الهمزة: 1). والويل للقلم إن لم يخبركم، بأن التشريعات التي جاءت بها الرؤى الإسلامية، هي منهج إنساني وحضاري متكامل حوى جمعا من المبادئ المرخصة بإسقاط العديد من التكاليف التي لا تتلاءم وطبيعة ذوي الإعاقة وقدرتهم البدنية والعقلية والمالية بنص رباني صريح» لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (البقرة: 286). فلم يكلفهم مثلا بفريضة الجهاد لمشتقتها بالنص القائل: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج» (الفتح: 17)، و«ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على مريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها»⁽⁶²⁾. وعلى الرغم، من أن المبادئ الشرعية تخفف على المعاقين ما لا يطبقونه، حتى يقع تحت استطاعة المكلفين دون إحراج، والقاعدة مبنية على أدلة كثيرة من القرآن والسنة وإجماع الأمة والمعقول كالتي عرضنا⁽⁶³⁾، فإنها لم تمنع بعض نماذج المعاقين المشرفة من المشاركة الجهاد، مثل عمرو بن الجموح الذي قال: يا رسول الله، إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، والله إني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال له رسول الله: أما أنت فقد وضع عنك الجهاد. وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة. فخرج مع رسول الله (ص) فقتل يوم أحد شهيدا⁽⁶⁴⁾. ومثل عمر بن الجموح الذي قاتل حتى استشهد حسبما ورد في قوله للنبي: «يا رسول الله أرايت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة، وكانت رجله عوجاء، فقال النبي (ص): نعم»⁽⁶⁵⁾. ومثل ابن أم مكتوم الذي مؤذن الرسول مع بلال» كان يغزو ويقول: ادفعوا إلى اللواء، فإني أعمى لا أستطيع أن أفر، واقيموني

(61) القذافي، محمد رمضان، سيكولوجية الإعاقة، ص 18.

(62) الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان)، ج 22، ص 222.

(63) الغازي، محمد صديقي، موسوعة القواعد الفقهية، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1997، ج 10، ص 633.

(64) البيهقي، أحمد بن الحسن، السنن الكبرى كتاب السير، ج 9، ص 42، حديث رقم 17821.

(65) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تمتع مسند الأبصار، ج 37، حديث رقم 22553، ص 247.

بين الصفين، وعن أنس (ض): إن عبد الله بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية سوداء عليه درع له⁽⁶⁶⁾. ومثل ثابت بن قيس الأنصاري الذي شهد أحد وما بعدها، كان في أذنه صمم، وقد ثبت عن الرسول، عليه السلام، أنه بشر بالشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدا، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده⁽⁶⁷⁾. فهؤلاء جاهدوا في سبيل الله ولم تمنعهم إعاقتهم من خدمة الرسالة الإسلامية وإعلاء رايته ونصرتها، وخير نصرة مثلها طلع بن عبيد الله الذي كانت له يوم أحد اليد البيضاء، وأبلى بالدفاع عن رسول الله (ص) بلاء حسنا، حتى شلت يده التي وقى به رسول الله (ص)⁽⁶⁸⁾، فصدق وعده مع الله الذي كرمه بأية من سورة الأحزاب.

(66) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 364.

(67) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، 1986، ج 6، ص 334.

(68) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص 246-247.

وليصدق القلم في سيره حتى يعرض لكم دليلا آخر يخول للمعاق جواز الدخول للبيوت الأقارب والأصحاب دون استئذان ومخالطة أهلها ومشاركتهم الطعام» ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم» (النور: 61)، والخرج سيكون كله على القلم إذا لم يخبركم أن عمر بن الخطاب عامل المعاقين معاملة في غاية الحسن والرفي والتقدير حين خالطها وشاركها الطعام، فقد حضر عمرو بن طفيل الذي قطعت يده يوم معركة اليمامة، وبينما هم جلوس، حضر الطعام فتنحى عمرو عنه، فالتفت إليه عمر (ض) وقال: لعلك تنحيت لمكان يدك؟ قال عمرو: أجل، قال عمر بن الخطاب: والله لا أذوق حتى تسوطه بيدك، ما في الحاضرين من بعضه في الجنة غيرك⁽⁶⁹⁾. وما تنحينا عن هذا المكان إلا لنكمل مشهد عظمة رقي المعاملة وحسن التقدير مع أبي بكر الذي أكد في أول خطبة له بعد البيعة، على أهمية نصرة الضعفاء قائلا: الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله⁽⁷⁰⁾. وذلك سير على المنهاج النبوي والأمة مسؤولة عن حمايتهم ورعاية مصالحهم وصيانتها، فعليها أن تقاتل عند اللزوم لحمايتهم ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال

(69) ابن عسكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ج 25، ص 13.

(70) ابن هشام، أبي عبد الملك أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، 55، ج 2، ص 661.

والنساء والولدان» (النساء: 75).

وها هو القلم يقاتل في انتقاء المبادئ لكثرتها فيختار لكم منها على سبيل المثال مبدأ التكافل الاجتماعي، الذي عبر عنه رجال الفقه القدامي بمصطلح حد الكفاية تميزا له عن حد الكفاف؛ بمعنى أن لكل فرد وجد في المجتمع الإسلامي، احتياجات ضرورية للمعيشة تختلف باختلاف الزمكان، فإن لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض أو شيخوخة أو إعاقة أو تعطل عن العمل في تحقيق المستوى اللائق للعيش، تكفل له بذلك بيت المال، أي خزينة الدولة، وذلك أيا كانت جنسية هذا الفرد وأيا كانت ديانتة⁽⁷¹⁾. وقد حرص الخلفاء والأئمة والولاة الذين ساروا على النهج النبوي على تطبيق هذا المبدأ، وكان عمر بن الخطاب أول من أتيح له تحقيق أول مشروع للتكافل الاجتماعي كان أساسه إنشاء الدواوين، وتقييد أسماء الناس، وفرض العطاء لهم جميعا، على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم، فكان يفرض للنفوس مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم، فإذا بلغ زاده⁽⁷²⁾ حماية له من ذل السؤال. وما علينا زيادته في هذا المقام، أن العناية بذوي الإعاقة كفرض كفاية على المسلمين لم تقل، بل زادت بازدياد موارد الدولة الإسلامية واتساع رقعتها الجغرافية، فقد عمل عمر بن عبد العزيز على إحصائهم في ديوان كتب إلى أمصار الشام، أن ارفعوا إلى كل أعمى في الديوان، أو مقعدا أو من به الفالج أو من به زمانة، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه، فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم⁽⁷³⁾، وكل ذلك على نفقة الدولة، التي فرضت فروضا للزمنى، لكن الولي صاحب ديوان دمشق أراد أن ينفق عليهم صدقة، دون أن يحدد لهم من بيت المال حقوقا واجبة ومقررة ومفروضة، فشكوه إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه أن يفرض لهم حقوقا واجبة، لا مجرد صدقات وإحسانات، وقال له: إذا أتاك كتابي هذا فلا تعنت الناس، ولا تعسرهم، ولا تشق عليهم، فإني لا أحب ذلك⁽⁷⁴⁾.

(71) محمد شوقي الفنجري، الاقتصاد الإسلامي، ص 100.

(72) محمد سعيد العامودي، من تاريخنا، دار الأصاله، ط 3، الرياض، 1981، ص 220.

(73) ابن عسك، تاريخ دمشق، ج 45، ص 218.

العناية بذوي الإعاقة كفرض كفاية على المسلمين لم تقل، بل زادت بازدياد موارد الدولة الإسلامية واتساع رقعتها الجغرافية

(74) ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 281.

ولكن القلم أخبركم أن الخليفة الوليد بن عبد الملك اتبع نفس النهج وخصص لهم العطاءات قائلا: «لا تسألوا الناس، فأعطى كل مقعد خادم وكل ضرير قائدا»، وإلى جانب ذلك أنشأ مشفى متخصص لعلاج المجذومين⁽⁷⁵⁾. بذا، يكون اتبع نفس النهج الذي ظل متبعا في عهد الدولة العباسية، التي أمر خليفته المنصور «ولاته بإجراء الأرزاق للقواعد من النساء اللاتي لا أزواج لهن، وللأيتام، والعميان، كما أمر المهدي من بعده بإجراء أرزاق مستديمة على المجذومين»⁽⁷⁶⁾.

(75) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9، ص 164.

(76) عبد المنعم النمر، اسلام لا شيوعية، مكتبة الغرب، 1976، ص 293.

هذا، وقد خصصت الدولة الإسلامية في جميع عهودها جزءا كبيرا من عائدات الأوقاف وتبرعات المحسنين للصرف على اللقطاء، واليتامى، والمقعدين والعجزة، والعميان، والمجدومين، والمسجونين ليعيشوا فيها ويجدون فيها السكن والغذاء واللباس والتعليم والعلاج⁽⁷⁷⁾، ولإنجاز مشفى للعناية بالمختلين» قد جاء في صك الآفات التي حبس ريعها لصالح المستشفى «النودي» أو العتيق بحلب، أن كل مختل عقلي كان يحظى بخادمين فيترعان عنه ثيابه كل صباح ويدفعانه للاستحمام بالماء ثم يلبسه ثيابا نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة كما يسمعانه قراءة القرآن الكريم، يقرؤه قارئ حسن الصوت، ثم يفسحانه في الهواء الطلق، ويسمح له في الأخير بالاستماع إلى الأصوات الجميلة والنفحات الموسيقية⁽⁷⁸⁾. وقد اهتم السلاطين في العهد المملوكي ومنهم السلطان قلاوون بإنشاء البيمارستان في القاهرة لرعاية المرضى والمعاقين وبالأشرف على علاجهم طيلة مدة وجودهم به، وعند تقرير خروجهم يعطي كل واحد منهم قطعة من الذهب حتى لا يضطر للعمل في فترة النقاهة⁽⁷⁹⁾. وهكذا، ضمن هذا المبدأ حقهم المالي من مصارف بيت المال ومن الزكاة أيضا، وهناك مبادئ أخرى جاءت بها الرؤية الدينية الإسلامية ضمنمت حقهم في كل المناحي، كحقهم في الحياة، وفي الكرامة الإنسانية والحرية وحرية المعتقد، وفي التعلم والتعليم، وفي التملك والتصرف، وفي الزواج والإنجاب. والسؤال الذي يخطر بالبال هنا:

(77) عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان 1982، ص 234.

(78) شوكت، أحمد الشطي، المدارس والشفافي الطبية في الإسلام، ص 15-16.

(79) محمد عبد المنعم نور، الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، ص 203.

هل هذه المبادئ التي جاءت بها الرؤية ضمنت لهم الحق في العمل والكسب لإعالة أنفسهم بأنفسهم وأتاحت لهم ذلك؟ بالطبع نعم، فمن يطالع التاريخ الإسلامي تترأى له تلك الصور العظيمة التي تضع ذوي الإعاقة الموهوبين والأكفاء في المكان الصحيح واللائق للقيام بدورهم في الحياة الاجتماعية، والتي تتيح لهم فرص المشاركة في كافة الأنشطة العملية على أكمل وجه، فكانوا مصدر خير وبركة ونعمة وسعادة للمجتمع ونماذج يقتدي بها أفرادها، ومن صور تلك المشاركة تعيين الرسول لابن أم كلثوم نائبا له بالمدينة وأستخلفه عليها مرتين ليصلي بالناس ويرعى شؤونهم، وتعين معاذ بن جبل قاضيا ومعلما على اليمن لاستحقاقهما ذلك، فلم تكن عاهتهما عائقا أمام أداء المهام الموكولة إليهما وتحمل تبعاتها، وفي الأخير فهذا التعيين يدل دلالة واضحة على دمجهما في المجتمع وتحميلهما بعض مسؤولياته التي تناسب وقدراتهما، كما يدل على تقدير إمكانياتهما التي وجب تفجيرها في المكان المناسب حتى يندفعا بكل ثقة وعزم- نحو العمل البناء والإنتاج المثمر، وبهذا رد اعتبار المعاقين وحفظ كرامتهم وحقوقهم في العيش الكريم.

خاتمة:

يتضح مما سبق ذكره، أن الإعاقة كظاهرة مشوبة بالتخيلات الفوق طبيعية، التي تحول ما جاء فيها مع الوقت إلى ممارسة ثقافية واجتماعية وسياسية في جميع المجتمعات، مجتمعات تباينت مواقفها بصورة كبيرة بشأن ذوي الإعاقة، فمنها من أكرمت بحق ذويها ونبذتهم وعذبتهم وحاولت التخلص منهم بالقتل، ومنهم من أنصفتهم وكرمتهم وحمتهم وعاملتهم معاملة حسنة، ومنها من تأرجحت مواقفها بين هذه وتلك. وإن الإسلام جاء برؤى دينية ذات نزعة إنسانية وخيرية شاملة كاملة، لا تضاهيها في الكمال الرؤى الدينية، سواء القديمة أو اليهودية أو المسيحية. ولا تضاهيها في عدم تخليها عن الرسالة التي عينتها لها العناية الإلهية.

المراجع والمصادر

- ابن ماجه، عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د. ت.
- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ابن هشام، أبي عبد الملك أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقي وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط 2، مصر 1955.
- أرسطوطاليس، السياسة مع مقدمة في علم السياسة منذ الثورة الفرنسية حتى العصر الحاضر للبرفسور بارتلمي سانتهيلير، ترجمة أحمد لطفي السيد، مراجعة، منشورات الجمل، ط 1، بغداد-بيروت 2009.
- الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني الأولى، د ط، بيروت 1990.
- الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود، دراسة وتحقيق أسونثيون فريس، سلسلة المصادر الأندلسية (32)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد 1998.
- محمد شوقي الفنجرى، الاقتصاد الإسلامي، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، 1980.
- محمد عبد المنعم نور، الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، 1984.
- ويسترمارك، موسوعة تاريخ الزواج، مج المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت 2001.
- أحمد علي مرسي، موسوعة مصر الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.
- Merbert C. Covey, People with leprosy (Hansen's disease) during the middle ages, The social Journal, vol 38, 2001.